Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومعان لو فصلّتها القوافى هجّنت شعر جرْولٍ ولبيدِ
حُزْنَ مستعملَ الكلام اختياراً وتجنّبن ظلمة التعقيدِ
وركبنَ اللفظ القريب فأدر كن به غايةَ المرادِ البعيدِ

وحكى الجاحظ عن الإمام إبراهيم بن محمد قوله : « كفى من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع » . ثم قال الجاحظ : « أما أنا فأستحسن هذا القول جدا [٢] » .

والوجه فى سداد هذا القول عندنا أنه ينفى عن البلاغة صفة الإيصال الذى علق بها أخذاً من اشتقاقها ، من حيث إن الناطق يبلغ كلامه للسامع ، وما هذا شأن القصيدة وغيرها من الآثار الأدبية ، بحيث يقطع فيها بمثل ما يقطع فى قول القائل لخادمه : « أعطنى الثوب » ، وشتان بين ما تفيده هذه العبارة ، وما يستطير من معانى الشعر إلى آفاق لا تدرك إلا بالنقد الذكى الذى يحاور فيه القارىء الشعر ليقتدح حقيقته ، فليس ما بين الناطق به وسامعه ، مثل ما بين الناطق بمطلق الكلام وسامعه .

وسيرورة الشعر ليست شيئاً سوى الخلود الذى تبلغ معه المعانى آماداً بعيدة لم تكن تخطر لصاحبه على بال ، وإن كان الشعراء قد أشاروا إلى ذلك ، وألموا به ، وإلا فعلى أى وجه يحمل قول مالك بن زغبة الباهلى :

وما كان طبّى حبّها غير أنه تقام بسلمى للقوافى صدورُها

---

(٢) العمدة ١ / ٢١٧ .